علم إذ لم نطّلع على فائدة الراغب تلك، لأننا عرفناه عالماً متفرداً وإماماً عظيماً في تفسير القرآن، ويقدّم إضافات ولطائف وفوائد لا تخطر على بال كثير من المفسرين، ويعجز عن تقديمها كثيرون آخرون.

ولقد اطّلعت على عدة تفاسير في تفسيرها لهذه الآية، علّها تتحدّث عن الحكمة من ذلك، ولم أجد فيها أية إشارة، فضلاً عن الوقوف عندها!!

لهذا أستمد العون من اللّه، وأطلب منه التوفيق والسداد وأقول:

لعلّ الحكمة ـ واللّه أعلم ـ أن المصريين كانوا ينظرون إلى يوسف عليه السلام نظرة خاصة، فيها الكثير من العداء والكراهية والبغض، ولعلّ من أسباب هذه النظرة كونه نبيّاً داعياً إلى توحيد اللّه وعبادته، وهم كانوا كافرين مشركين، ولذلك لا يرتاحون لدعوته ولا يؤيدونها.

ولعلّ من أسبابها أيضاً أنه كان أجنبياً خارجياً، لأنه ليس مصرياً فنظروا له من هذه الزاوية القومية الإقليمية، ولذلك لم يرتاحوا له.

ولعلّ من أسباب هذه النظرة أيضاً كراهية وبغض المصريين «لبني إسرائيل» الذين أسكنهم يوسف في مصر، فاعتبرهم المصريون «مستعمرين» أو على الأقل مشاركين لهم في ثرواتهم ومزاحمين لهم في اقتصادهم، وقد ساعدت هذه الأسباب الثلاثة وغيرها على تكوين هذه النظرة منهم ليوسف عليه السلام.

ونتيجة لهذه النظرة العدائية كانوا ـ من الناحية النفسية ـ يتمنون موت يوسف عليه السلام وينتظرونه بفارغ الصبر، حتى يستريحوا منه، بل لعلّهم كانوا يتمنون لو يقدرون على قتله وإهلاكه، ويبدو أن عجزهم سببه هو حماية ودعم ملك مصر له، أو عرفانهم بجميله عندما أنقذهم من خطر المجاعة سبع سنوات، وأدار اقتصادهم أحسن ما تكون الإدارة، وتجاوز به تلك المحنة.

فما أن مات يوسف عليه السلام حتى تنفسوا الصعداء، وحققوا الراحة النفسية.